عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد التاسع - العدد الرابع - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

٤

القرن الخامس عشر الهجري

الأبحاث والدراسات

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حالة الشعر العربي في صدر الاسلام

بقلم

معين جعفر الطائي

محافظة بابل ـ الحلة

لم يكن ظهور الدين الاسلامي مجرد حدث طارىء قام بمعزل عن مجمل الظروف التي كانت تكتنف الحياة التي يعيشها عرب الجاهلية ، وانما على العكس من ذلك حيث انه كان يشكل ثورة ـ بالمفهوم المطلق ـ على كل ما كان سائدا ومميزا في الحياة العربية آنذاك . ولما كان من مبادىء هذه الثورة انها توخت انتشال الانسان المطحون من تلك الحياة الوثنية ، العبثية القوام ، والتي كان يخضع لقوانينها الجائرة .. تلك القوانين التي لم يكفها ان تجد الانسان ـ هذا المخلوق البائس ـ يعيش في كنفها مهددا بالويل والدمار ، لا يدري ميعاد ساعه ان تنقض عليه أنياب الموت لتحيله الى عدم ، بل ولم يكفها ان تجده في معاناة من قلق وعدم استقرار بسبب تربص قوى الشر الطبيعية منها والبشريه ، للنيل منه ! أقول هذه القوانين .. لم يكفها كل ذلك بل كانت تفعل بالمرء ما هو أفضع وأسوا : تفسده وتمسخه داخليا !

من هنا يصبح بأمكاننا ان نصنع مجمل المبررات التي على اساسها قام الدين الاسلامي والغايات التي لاجلها استمر في صراع وتطاحن مستمرين بين معارضيه ومؤيديه .. أي بين من كانت مصالحهم تتفق وماهو سائد بحكم المتعارف عليه من قوانين قوامها استغلال واستعباد الانسان واستنزاف قواه من جهة ، وبين ما تمخض عن الدين الاسلامي الجديد من قيم ومبادىء قوامها انعتاق الانسان من ربقة العبودية واستحالته الى وحدة بنائية في تشكيلة اجتماعية متماسكة تجعل خدمه الانسان والحفاظ على امنه وعلى سلامته من الاخطار الخارجية التي تحيق به ، في مقدمة المسؤوليات المناطة بها ... من جهة أخرى !

وهكذا فان ظهور الاسلام كان ثورة انبثقت لتلغي جانبا سلبيا في مجتمع عرب الجاهلية، ولتعمد ـ بالموازاة مع ذلك ـ الى تنمية وتطوير وتجديد الجوانب الايجابية التي كانت تقتضيها ظروف حياة جاهلية كتلك التي كانت سائدة آنذاك.

الشعر ـ الموقف من الاسلام

عبر اتجاهاته الثلاثة .

بديهي ان الاسلام اذا انبثق لم تكن لتستهدف الاصلاح والترقيع والترميم بقدر ما توخت الغاء واقع به خصائصه وسماته وابعاده ، والاستعاضه عنه ببناء اخر جديد يولد كبديل موضوعي له : وبحكم ما يوجد من ارتباط عضوي بين الواقع وبين الشعر ، اذ ان الشعر وجه مشرق لواقع ماثل ، بصرف النظر عن الاعتبارات الزمانية ـ المكانية ؛ فأذن تصبح مسألة انعكاس مجمل التطورات والاوضاع الجديدة التي تمخضت عنها على القصيدة الشعرية ، من الامور المسلم بها مبدئيا . واذا ما عدنا الى شعر تلك الحقبة لالفيناه منشقا على نفسه في اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الاول: ويمثل اصوات المعارضة التي انبرت في التصدي للاسلام ، متخذة في ذلك شتى الذرائع والادعاءات التي نراها تتوخى بها ان تدحض مزاعم خصومها في العقيدة .. فاذا هي لا تتوانى عن وصف الدين الجديد بأنه بدعة جاء بها محمد (ص) ، وبما ان ذلك لا يتفق وماهم عليه من معتقد فأن الهتهم تقضي عليهم بضرورة انزال السيف بكل من لا يدخر وسعا في الانضواء تحت راية الاسلام وتفهم اسس الدين الجديد بغية الاخذ بتعاليمه . واذا شئنا ان نذكر بعض اسماء من مثل هذا المنحى من

الشعراء ، فلدينا ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ : ابو الصلت بن ابي ربيعة ـ أمية بن ابي الصلت (الذي نال في قصيدته من اصحاب الرسول) ـ ـ أبو محجن الثقفي ـ غيلان بن سلمة وكنانة بن عبد ياليل . كل هؤلاء الشعراء ممن ناصب الدين الاسلامي العداء في الطائف(١) . أما الشعراء الآخرون الذين ناهضوا الاسلام في سائر البلاد الاسلامية ، فلعل اشهرهم : الحرث بن هشام ـ ضرار بن الخطاب ـ كعب بن الاشرف ـ عمرو بن العاص ـ عبدالله بن الزبعرى ـ عبيدة بن الحارث ـ شداد بن الاسود الليثي ـ معاوية بن زهير .

وهناك ايضا الشواعر اللائي التزمن الموقف ذاته من معاداة الاسلام والتنكر لما اتى به من سامي المبادىء .. منهن هند بنت عتبة ـ صفية بنت المسافر (التي بكت في شعرها اهل القليب) ـ هند بنت اثاثة وقتيلة بنت الحارث .

واذا شئنا ان نستشهد بابيات شعرية تجسد ما كان عليه اصحاب هذا الاتجاه من مواقف العداء ازاء الاسلام ، فان خير ما يتجسد ذلك في قصيدة لعبدالله بن الزبعرى قالها في يوم احد يفاخر فيها بجلاد قومه وما عاناه المسلمون من تنكيل وقتل على ايدي الكفار ..

ان للخير وللشر مدى
وكلا ذلك وجه وقبل
أبلغا حسان عني آية
فقريض الشعر يشفي ذا العلل
كم قتلنا من كريم سيد
ماجد الجدين مقدام بطل(٢)

ولعبد الله بن الزبعرى ايضا ، وقعنا على البيتين التاليين ، قالهما الشاعر في الغرض نفسه . وارجح الظن انهما من القصيدة ذاتها

ليت اشياخي ببدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرن من اشياخهم
وعدلناه ببدر فاعتدل(٣)

ويحسن بنا ان نقف عند شاعر اخر التزم الموقف ذاته من الاسلام . . . ذلك هو كنانة بن عبد ياليل الثقفي الذي كان شديد الوطأة على المسلمين ، اذ برق له بارق في غزوة حنين ؛ وذلك عندما جاءت ثقيف وبمعيتها كنانة بن عبد يا ليل قاصدة قتال المسلمين ونصرة هوازن ، حتى (اذا ما هزمت هوازن ، ثم اسلمت الطائف ، يكون كنانة قد فارق قومه موليا وجهه شطر الشام مع علقمة بن علاثة ، وعبد عمرو بن صيفي .

وقد دون ابن اسحاق في السيرة قطعة لكنانة، يرد فيها على قصيدة كعب بن مالك ، التي يقول في اولها :

قضينا من تهامة كل ريب
وخيبر ثم اجحمنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت
فواطعهن دوسا او ثقيفا !

فقال كنانة :

من كان يبغينا يرد قتالنا
فانا بدار معلم لا نريمها
وجدنا بها الآباء من قبل ما ترى
وكانت لنا اطواؤها وكرومها
وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر
ماخبرها ذو رأيها وحليمها
وقد علمت ان قالت الحق اننا
اذا ما ابت صعر الخدود نقيمها](٤)

هذا ولا ينبغي لنا ان نتجاوز شاعرا اخر لا يقل شأنا عن الشاعرين السابقين فيمانحن بصدده.. ذلك هو : كعب بن الاشرف ! الذي ما كان ليدخر وسعا في مقارعة المسلمين واخذ اعراضهم ، حتى كان له ان يلقى حتفه على يدي احد الصحابة المسلمين ليكم فمه ويصمته صمتا ابديا .

اما شعره [الذي ذكر في رثاء اصحاب القليب، وفي التحريض ضد المسلمين ، فهو قوله :

طحنت رحى بدر لمهلك اهله ..
ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم
لا تبعدوا ان الملوك تصرع
كم قد اصيب به من ابيض ماجد
ذي بهجة يأوي اليه الضيع
طلق اليدين اذا الكواكب أخلفت
حمال اثقال يسود ويربع
ويقول اقوام امر بسخطهم
ان ابن الاشرف ظل كعبا يجزع
صدقوا فليت الارض ساعة قتلوا
ظلت تسوخ باهلها وتصدع

صـار الـذي اثـر الحديث بطعنـة
أو عاشـ اعمـى مرعشـاً لا يسمـع
نبئـت ان بنـي المغـيرة كلهـم
خشعوا لقتل ابي الحكيم وجدعوا](٥)

ولعل من الصواب بمكان ان نذكر في عداد من مثل هذا الاتجاه من الشعراء ابا محجن الثقفي .. هذا الذي ما ان الفى جنين الدين الجديد طريقه الى النور ، حتى تنصل عما اتت مبشرة به من سامي المثل والمبادىء ، واجدا في الاستسلام لاهواء نفسه ونزواتها الشيطانية بديلا عن الايمان و التطهر ، بسبب افتقاره الى القدرة على كبح جماح نفسه والواء لجامها فتسييرها الوجهة التي يشاءها ويستكين اليها ! حتى اذا تواجدت في نفسه تلك القدرة ، ضبط اهواء ، وتاب الى الله لتنقلب الآية راسا على عقب عما كانت عليه بادىء ذي بدء .

وعلى هذا الاساس بوسعنا ، لا بل ينبغي لنا ان نميز مرحلتين في حياة هذا الشاعر : الاولى ـ مرحلة الغواية والضلال . أما الثانية فهي مرحلة التوبة والتطهر !

وفيما لو تأملنا ابا محجن الثقفي خلال المرحلة الاولى من هاتين المرحلتين لما تبينا سوى قوة تعلقه بالخمرة ومدى افتتانه بماتستثيره في نفوس شاربيها من نشوة ! فاذا هو [يستهين حتى باقامة الحد عليه في سبيلها ، وانه اذ يستطيع الصبر على فقد اخوته ، فلن يطيق صبرا على فراق الخمر وهجرها:

ضربت فلم اجزع ولم اك جازعاً
لحادث دهر في الحكومة جائر
واني لذو صبر وقد مات اخوتي
ولست على الصهباء يوما بصابر

وكذلك يستهين بعذاب النار في سبيلها ، فيشر بها صرفا ، زيادة في الاثم ، وايغالا في المعصية :

الا اسقني يا صاح خمراً فانني
بما انزل الرحمن في الخمر عالم
وجدلي بها صرفاً لأزداد مأثماً
ففي شربها صرفا تتم المآثم
هي النار الا انني نلت لذة
وقضيت اوطاري وان لام لائم](٦)

من هنا يتضح جليا كيف ان ابا محجن قد بلغ ـ في الابيات الثلاثة المذكورة اعلاه ـ غاية في التمرد . . وذلك لانه على الرغم من علمه (بما انزل الرحمن) من نهي عنها ، قد لازم الخمرة وعلقها ! ومما يزيد الطين بلة انه يريدها صرفا توخيا او بالاحرى تعمدا منه لاستزادة مآثمه !

بيد انه سرعان ما يعلن ردته الى واقع ينبغي ان يصير اليه ... فاذا هو يتوب الى الله تعالى ، متضرعا اليه ان يصفح عنه فهو الغفور الرحيم .. مؤكدا أمامه ـ ليس على هجر الخمرة فحسب وانما على تحاشي كل الرذائل من (قول السفيه) وما كان على شاكلته .. ثم كيف يعود وقد قطع على نفسه عهدا بعدم العودة والله شاهد عليه ... وهكذا يكون قد تسنى لهذا الشاعر ان يلج عهد التوبة والتطهر :

أتوب الى الله الرحيم فانه
غفور لذنب المرء ما لم يعاود
ولست الى الصهباء يوما بعائد
ولا تابع قول السفيه المعاند
وكيف وقد اعطيت ربي مواثقاً
أعود لها والله ذو العرش شاهدي
سأتركها مذمومة لا أذوقها
وان رغمت فيها انوف حواسدي

واما الشاعر شداد بن الاسود الليثي ، فقد روى له صاحب (رسالة الغفران) ميميته في رثاء قتلى بدر من المشركين التي يلاحظ فيها ايغال الشاعر في معصية الله تعالى وتنصله عما دعا اليه عباده المؤمنين .. هذا الى جانب استخفافه بيوم البعث والنشور :

ألمت بالتحية ام بكر
فحيوا ام بكر بالسلام
وكائن بالطوي طوي بدر
من الأحساب والقوم الكرام
وكائن بالطوي طوي بدر
من الشيزي تكلل بالسنام
الا يا أم بكر لا تكري
علي الكأس بعد اخي هشام
وبعد اخي ابيه ، وكان قرماً
من الأقوام شراب المدام
ألا من مبلغ الرحمن عني
بأني تارك شهر الصيام ؟
اذا ما الراس زايل منكبيه ،
فقد شبع الأنيس من الطعام

ايوعدنا ابن كبشة أن سخيا ؟
وكيف حياة أصداء وهام ؟
اتترك ان ترد الموت عني ،
وتحيبني إذا بليت عظامي ؟(٧)

ولعل الشاعر، في البيت الاخير من هذه القصيدة ، اراد ان يدحض مضمون قوله تعالى [يحيي العظام وهي رميم] بهدف التنطس بالكفر .. ليس الا !

بيد اننا ينبغي لنا ان نلحق بأصحاب هذا الاتجاه بعض الشعراء الذين ساءت عاقبتهم بعد ما كانوا عليه من حسن اسلام واتباع للسبيل الحق ، فاذا هم يعلنون ردتهم عن الدين الاسلامي لسبب أو لآخر ، لينقلبوا عما كانوا عليه ، ويتنصلوا عن مجمل المبادىء والقيم الاسلامية بعدما عرف عنهم من انفتاح عليها والتزام بها . وكمثل على ذلك لدينا الشاعر ربيعة بن امية بن خلف الجمحي وما جرى له من خطب مع أبي بكر الصديق ، مما حدا به الى مجافاة هذا الاخير واللحاق بالروم ... ويروى انه قال في ذلك :

لحقت بارض الروم غير مفكر
بترك صلاة من عشاء ولا ظهر
فلا تتركوني من صبوح مدامة
فما حرم الله السلاف من الخمر
اذا امرت تيم بن مرة فيكم
فلا خير في ارض الحجاز ولا مصر
فان يك اسلامي هو الحق والهدى
فأني قد خليته لأبي بكر(٨)

الاتجاه الثاني : وهو على العكس من الاول- يمثل الانتماء المطلق الى الدين الجديد والاستجابة لما تقتضيه مبادئه من مستلزمات الايمان الراسخ والتضحية والشهادة والتفاني في سبيل الذود عن قيمه ومبادئه السامية . وكما هي الحال مع اصحاب الاتجاه الاول ، نرى ان لاصحاب هذا الاتجاه من الشعراء منافراتهم خصومهم من المشركين او بالاحرى المعارضين ، تلك المنافرات التي تقوم على أساس التغني بالقيم الجديدة التي جاء بها الاسلام والتفاخر بالمآثر والمناقب التي ينطوي عليها دستوره : القرآن الكريم . ولعل خير من مثل هذا الاتجاه من الشعراء حسان بن ثابت ولبيد والاعشى التميمي ومعبد الخزاعي وحمزة بن عبدالمطلب وعلي بن ابي طالب وطالب بن ابي طالب وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك الخزرجي الانصاري والعباس بن مرداس (الذي جاء اسلامه متأخرا) وآخرون سواهم .

ولم تتوفر لشاعر من هؤلاء اسباب مواكبة الاحداث التي صاحبت انبثاق الدين الاسلامي والتفاعل معها بالدرجة ذاتها التي تهيأت لحسان بن ثابت الذي احتلت شخصيته مكانة مرقومة بين الرسول و المسلمين ... حسبه في ذلك فخرا انه اعتلى منصب شاعر الرسول الرسمي ، فكان له منبر في مؤخرة المسجد يقف فوقه ينافح عن الرسول والمسلمين ويذب عن حياض الاسلام .

ولعل من الصواب بمكان ان نشير الى مجمل الاغراض التي قصر عليها حسان بن ثابت شعره ابان اسلامه ، وكمثل على ذلك نقول انه كان قد سجل في قصيده : دفاعه عن المسلمين ، وبالموازاة مع ذلك هجاءه المشركين ـ مدحه الرسول ـ فخره بانتصارات المسلمين في غزواتهم ـ رثاءه قتلاهم المتساقطين وهم يذدون عن حياض العقيدة الاسلامية . ناهيك بقصيدته (البائية) التي تجسد ذلك على اكمل وجه ، حيث تجد فيها تصوير الشاعر لانتصار المسلمين ببدر واندحار مطايا الشرك ، وتبيانه (في الوقت نفسه) الوحدة القومية- العقائدية التي تمثلت بمؤزرة بني الاوس لبني النجار والتفافهم حول الرسول (ص) .. جاء ذلك في قوله :

فلاقيناهم منا بجمع ...
كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد وازروه
على الأعداء في لفح الحروب
بايديهم صوارم مرهفات
وكل مجرب خاصي الكعوب
بنو الأس الغطارف وازرتها
بنو النجار في الدين الصليب !
يناديهم رسول الله لما
قذفناهم كباكب في القليب
الم تجدوا كلامي كان حقاً
وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ، ولو نطقوا لقالوا :
صدقت وكنت ذا رأي مصيب

هذا في حالة كانت الغلبة فيها للمسلمين . اما وقد خسر قومه غزوة (أحد) فان ذلك لم يكن ليثبط من عزيمة الشاعر او يحد من اعتداده المألوف بنفسه وارتباطه العقائدي ، وانما على العكس من

ذلك اذ نجده قد ازداد تعصبا مذهبيا ... حتى ان شعره الذي قيل بهذه المناسبة (أحد) لم يكن ليخلو من فخر الشاعر بقومه ووصفه استبسالهم ساعة ان حمي وطيس الحرب ... فمثلما ضاربت بنو الاوس لتنال الذكر الرفيع نجد ان بني النجار قد حاموا وضاربوا ايضا ، دون ان يتواجد بينهم الرعديد الذي هو الجزع مطية !

ولم يفت الشاعر ان ينوه الى ما كان عليه قومه من وحدة عقائدية زادتهم بأسا وقدرة على البلاء الحسن بفعل التفافهم حول رسول الله ـ الناصر والشفيع ـ لا بل ان تلك الوحدة قمينة كانت بحد ذاتها نصرا مبينا وغنيمة ما كان اجدرهم بأن تجعلهم في غنى عن نشدان الظفر بالحرب لانها بها ! يقول حسان في ذلك :

وقد ضاربت فيه بنو الأس كلهم
وكان لهم ذكر هناك رفيع
وحامى بنو النجار فيه وضاربوا
وما كان منهم في اللقاء جزوع
أمام رسول الله لا يخذلونه
لهم ناصر من ربهم وشفيع
بأيمانهم بيض اذا حمي الوغى
فلابد ان يردى بهن صريع
اولئك قومي سادة من فروعهم
ومن كل قوم سادة وفروع

ويرجح ان يكون امتداد العمر بحسان بن ثابت قد أتاح له ان يساهم على اوسع نطاق في احداث خطيرة احاقت بالامة العربية لها صلة بالاسلام كحروب الردة ، واحداث الفتنة الكبرى وتصدع الوحدة القومية العقائدية ، ثم قبل ذلك بكثير حروب الفتح ... فاذا نحن واجدون له في كل مناسبة اسلامية قصيدة ، أو قصائد ومن بين جياد قصائده التي ترددت اصداؤها بهذا الخصوص ، لما كان لها من ابعد الاثر واحسن الذكر عند المسلمين ، قصيدة الفتح ـ فتح مكة ـ التي يرتبط تأريخ ولادتها بتأريخ وقوع الحدث نفسه (سنة ثمان) .. مطلعها :

عفت ذات الأصابع فالجواء
الى عذراء منزلها خلاء

واذا كان ثمة من اعتبر مطلعها جاهليا باعتبار ان الشاعر استرجع فيها ذكرى ايامه الاولى التي قضاها في كنف الغساسنة بالشام ، وما كان له من لهو وشراب .. فان الجزء الاسلامي منها ـ والرأي ليحيى الجبوري ـ هو الذي سما بحسان ، سموا لم يرق اليه شاعرا اسلامي آخر .. سيما في قوله :

عدمنا خيلنا ان لم تروها
تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الاعنة مصغيات
على اكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات
يلطمهن بالخمر النساء !

بيد أن السبب المنطقي القمين بتعليل ما انتهينا اليه من اراء بخصوص (الجزء الاسلامي منها) هو ان [النفس الاسلامي واضح متميز ، فهو يعبر عما يجيش في صدور المسلمين ، من الحق والايمان ، ويخاطب المشركين بلغة الدين :

وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد ارسلت عبدا
يقول الحق ان نفع البلاء](٩)

وقد لاحظ فريق من الباحثين ان ابرز ما يمكن ان يلاحظ في شعر حسان بن ثابت ـ الاسلامي منه على وجه الخصوص ـ انه شعر مقطعات لا قصائد طوال ولهذه الظاهرة ما يبررها اذ ان [هذا النوع لا يتطلب مقدمات ، لان ظروفه تدفع الشاعر الى موضوعه مباشرة دون تقديم . وكانت الحياة حول حسان وبين الرسول (ص) والمسلمين تقتضي منه ان يكون سريعا في مقاومة المشركين بفنه . حتى يبطل كيدهم ، ويرد غوائلهم فقد كانت الاحداث تجري بسرعة ، لا تترك للشاعر فرصة ان يتأمل ويفكر لينظم ، وانما تدفعه دفعا لان يلاحقها بنفس سرعتها ، الى جانب كل ذلك فان طبيعة النقائض ـ وهي التي استغرقت كثيرا من شعر حسان ـ ان توجه الشاعر الى موضوعه مباشرة](١٠) أضف الى ذلك أن غرض الفخر في شعره الذي كان يوشك ان يكون (قبليا) صرفا في عصر ما قبل ظهور الدين الاسلامي ، انقلب رأسا على عقب حال ظهوره فاذا بالفخر لديه يقوم على رؤيا (قومية) وفي ذلك استجابة لضرورة اقتضتها السنة الاسلامية .

وسوى حسان بن ثابت لدينا كعب بن مالك الخزرجي الانصاري الذي كان قد وظف شعره الى جانب سيفه في الذود عن حياض الاسلام وصور الاحداث بروح اسلامية واضح فيها تأثره

بالدين الحنيف ، سيما في قصيدته التي قالها في (بدر) يرد فيها على قصيدة ضرار بن الخطاب ؛ حيث يقول :

عجبت لأمر الله والله قادر
على ما اراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر ان نلاقي معشراً
بغوا وسبيل البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
من الناس حتى جمعهم متكاثر
فلما لقيناهم وكل مجاهد
لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وأن رسول الله بالحق ظاهر
فأمسوا وقود النار مستقرها
وكل كفور في جهنم صائر
لأمر اراد الله أن يهلكوا به
وليس لأمر حمه الله زاجر

هذا وكان عمرو بن العاص قد قال قصيدة [في (أحد) تفاخر فيها بتنكيل الكفار بالمسلمين ، فأجابه كعب بن مالك بأبيات يذكر فيها اتصاف المؤمنين بالصبر ويمتدح الرسول (ص) :

ألا أبلغا فهراً على نأي دارها
وعندهم من علمنا اليوم مصدق
بأنا عداة السفح من بطن يثرب
صبرنا ورايات المنية تخفق
صبرنا لهم والصبر منا سجية ،
اذا طارت الأوغاد نسمو ونرتق
على عادة تلكم جرينا بصبرنا
وقدماً لدى الغايات تجري وتسبق
لنا حومة لا تستطاع يقودها
نبي أتى بالحق عفى مصدق [١١]

أما الشاعر عبدالله بن رواحة فيقول مفاخرا بقومه من المسلمين والنبي (ص) :

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم
فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بانا ليس غالبنا
حي من الناس ان عزوا وان كثروا
يا هاشم الخير ان الله فضلكم
على البرية فضلاً ما له غير

ومثلما لمسنا نفسا اسلاميا عند الشعراء آنفي الذكر بوسعنا ان نقف عند شاعر آخر له من القول في نصرة المسلمين ما لا يقل شأنا عما تبيناه عند من سبقت الاشارة اليهم ذلك هو : العباس بن مرداس . الذي يروى عنه انه قال في فتح مكة ، ذاكرا قومه ، ومادحا رسول الله (ص) :

منا بمكة يوم فتح محمد
الف تسيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وشاهدوا ايامه
وشعارهم يوم اللقاء مقدم
في منزل ثبتت به اقدامهم
ضنك كأن الهام فيه الختم
جرت سنابكها بنجد قبلها
حتى استقاد لها الحجاز الأدهم
الله مكنه له واذّ لّه
حكم السيوف لنا وجد مزحم

هذا وثمة نصوص شعرية أخرى تجسد المنافرات بين الاتجاهين (الاول والثاني) سنذكرها في مواضعها .

الاتجاه الثالث : ولعل من المنطقي أن نبلور بدورنا أبعادا مميزة لاتجاه ثالث يمثله بعض من كانت مصالحه تقتضي الانضواء تحت راية الدين الجديد وكانت تسوقه رغبة جامحة للاستجابة لتعاليمه السمحة ، الا ان ظروفا معينة قاهرة ، كانت تحول دونه ودون تحقيق ذلك ، كأن تكون الاسباب تهديد من هو اقوى او تسلطه وفرضه قيودا جائرة ؛ كما هي الحال مع الشاعر المخضرم أمية بن ابي الصلت الذي كان التحنف قد وجد له هوى في نفسه ، حيث مال في العصر الجاهلي الى الاعتقاد بوجود الله ! وعلى الرغم من ان ذلك (الاعتقاد) كان عشوائيا ، غير مبني على أسس وجذور عقائدية راسخة ، اذ ان الشاعر لم يكن بالموازاة معه (الاعتقاد) قد التزم انظمة وفروضا معينة ، مشروطة عليه ؛ اقول على الرغم من ذلك ، فانه قد اتخذ لنفسه منهجا ونمطا سلوكيا لايدانيه آخر في القرابة مما اتى به الدين الاسلامي الجديد فيما بعد ... حيث كان قد هجر الخمرة واعتصم عن الوثنية (عبادة الاوثان) ، لا بل انه كان ممن يصدقون باليوم الاخر ، وبالحساب الذي ينتظر الضالين والثواب الذي سيجزى به المهتدون ...

جاء ذلك في وصفه يوم القيامة ، حيث تقف على تصويره الدقيق لما سيعانيه الضالون عن سبيل الحق من عذاب اليم ساعة ان يساقوا (وهم عراة) الى حيث القمع والتنكيل حتى اذ تجلت اليهم عظمة الرزء الذي هم فيه ، صاحوا رفعوا اصواتهم مهولين انفسهم بما ستعانيه من (ويل طويل ..) ولكي يحسوا عذاب السعير والاصطلاء (بحر النار) فقد باعد الله بينهم وبين الموت :

وسيق المجرمون وهم عراة
الى ذات المقامع والنكال
فنادوا ويلنا ويلاً طويلاً
وعجوا في سلاسلها الطوال
فليسوا ميتين فيستريحوا
وكلهم بحر النار صال

ولم يغفل الشاعر امية بن ابي الصلت ان ينوه ـ بالموازاة مع ذلك ـ الى ما سيؤول اليه مصير المتقين الذين نجد ان ثوابهم الحلول (بدار صدق) حيث العيش الناعم تحت الظلال الوارفة ، واجدون فيها ما تشتهي انفسهم وما يطيب لها من الافراح وكمال النعيم الدائم ، معمرين فيها وطابت لهم دار خلود ... جاء ذلك في قوله :

وحل المتقون بدار صدق
وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا
من الافراح فيها والكمال

ان الشاعر ، بتميزه بهذه الخصال ، ما كان احراه بالانفتاح على آفاق رسالة كالرسالة الاسلامية باعتبارها تنطوي على المبادىء ذاتها التي كان قد اتخذها لنفسه ، بل وما كان احقه بالاستحاله اسوة حسنة من وجهة نظر الاسلام ، باعتباره السابق غيره الى تطهير النفس وتزكيتها من رجس الشيطان في عصر جاهلي يسوده التزمت للمثالب ... يتمثل ذلك (التطهر والتزكية) في اعتصامه عن الخمرة والوثنية وايمانه باليوم الآخر ، كما اسلفنا ذلك .

بيد اننا ما ان يتقدم بنا الزمن الى حيث مخاض جنين الرسالة المحمدية الجديدة ، وظهورها الى حيز الوجود حتى نفاجأ بعكس ما كنا نتوقعه ازاء موقف الشاعر امية بن ابي الصلت منها ! صحيح ان الرسالة قد الفت ـ في الايام المبكرة من عمرها ـ هوى في نفس الشاعر واندفاعا في السبيل الذي اختطته للمنضوين تحت رايتها ، الملتزمين بتعاليمها السمحة ... الا ان هذه الرغبة الجامحة والاندفاع في المنحى الذي تقتضيه كانا قد الفيا ما هو اقوى منهما تأثيرا في ضبط هوى الشاعر والواء لجامه ، اذ ان تعصبه لانتمائه القبلي اضطره الى كبح جماح نفسه ، والجنوح نحو مجاراة ما كانت تضمره قبيلته ثقيف من عداء ومناهضة ساخرة ازاء الدين الاسلامي والرسول المبشر به ، فكان ان الزم ـ بكسر الزاء ـ بالتشهير بالرسالة الجديدة والتعرض لمبادئها ثم رثاء قتلى المشركين مع التحريض على قتال المسلمين وكم اصواتهم في عقر دارها ولعل سلوكيته هذه كانت بمثابة نتيجة لاستجابة الشاعر العمياء لما كان يقتضيه منه انتماؤه القبلي ! أي بعبارة اخرى ان الشاعر كان يقسر ـ بصيغة المبني للمجهول ـ على مثل تلك المواقف العدائية بفعل واعز غريزي ، سلبي (لا ارادي) ومن هنا فانه (الشاعر) لا حول ولا قبل له في أمر التحرر منها او الجنوح والعدول عنها .

هذا وقد تكون عوامل الحيلولة بفعل الاغراء .. كما حدث ذلك للشاعر الاعشى ميمون الذي روى عنه الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي في كتابه الموسوم [شرح المعلقات العشر واخبار شعرائها] انه كان من المخضرمين ، حيث ادرك الاسلام في أواخر ايامه ، وصادف الدين الجديد بما ينطوي عليه من مثل وقيم هوى في نفسه ، مما حدا به الى المجيء قاصدا النبي (ص) في فترة صلح الحديبية ، متوخيا ان يسلم على يديه ، وان يذب عن حياض الرسالة الجديدة ، غير ان قريشا ما ان انسل الى سمعها خبر مقدمه على محمد والغاية التي ساقته اليه ، حتى ارهبوا تحسبا لما ستكون عليه النتائج في حالة اسلامه ؛ وأرى ان براعة الاعشى الشعرية وقدرته على الحط من شأن الآخرين او السمو بهم ، هي التي اثارت حفيظتهم فخافوا ان يغلب ـ بكسر اللام مشددة ـ محمدا عليهم ، فما كان منهم ازاء ذلك الا ان [رصدوه على طريقه ، وقالوا : هذا صناجة العرب ، ما مدح أحدا قط ، الا رفع قدره ، فلما ورد عليهم قالوا : أين أردت يا أبا بصير ؟ قال: اردت صاحبكم هذا لأسلم ، قالوا انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك ، وكلها لك موافق قال : وما هن ؟ قال ابو سفيان بن حرب « الزنا » قال لقد تركني الزنا وما تركته ، ثم ماذا ؟ قال : «القمار»؛ قال لعلي ان لقيته ان اصيب منه عرضا من القمار؛ ثم ماذا ؟ قال : « الربا » . قال: ما دنت ولا أدنت، قال : ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : اوه ارجع الى صبابة قد بقيت لي في المهراس فأشربها . فقال ابو سفيان هل لك في خير مما هممت به ؟ فقال :

وما هو ؟ قال : نحن وهو الآن في هدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك ، سنتك هذه وتنظر ما يصير اليه أمرنا ، فان ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا ، وان ظهر علينا أتيته ، فقال : ما اكره ذلك ، فقال أبو سفيان : يا معشر قريش هذا الاعشى ، والله لئن اتى محمدا واتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الابل ، ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده ، فلما كان بقاع منفوحة ، رمى به بعيره فقتله ، وكان قد قال قصيدة يمدح بها النبي (ص) مطلعها :

الم تغتمض عيناك ليلة أرمدا
وبت كما بات السليم مسهدا

وروى ان النبي (ص) قال في حقه كاد ينجو ولما](١٢)

ومن قصيدته التي قالها مادحا رسول الله (ص) قوله :

الا ايهذا السائلي أين يممت ،
فان لها في أهل يثرب موعدا
فآليت لا ارثي لها من كلالة ،
ولا من حفيّ ، حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخي عند باب بن هاشم
تراحي ، وتلقي من فواضله ندى
أجدك لم تسمع وصاة محمد
نبي الاله حين أوصى واشهدا
اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ،
وأبصرت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله ،
وانك لم ترصد لما كان أرصدا
فاياك والميتات لا تقربنها !
ولا تأخذن سهما مديداً لتقصدا
ولا تقربن جارة ان سرها
عليك حرام ، فانكحن أو تأبدا
نبي يرى ما لا يرون ، وذكره
اغار لعمري في البلاد وانجدا(١٣)

وهكذا نتبين كيف ان الاعشى لم يقتصر على مدح النبي (ص) فحسب ، وانما قد تعدى ذلك الى تضمين أبياته المفاهيم والآداب والتعاليم الاسلامية التي اكدت الرسالة على ضرورة الاخذ بها كسنن اخلاقية من شأنها ان تعين نوعية السلوك الذي هو قمين بصيانة المجتمع الانساني من التحلل والتفسخ ! من ذلك تحاشي المحرمات مثلا ، كما في البيتين السابع والثامن ، من النص المذكور أعلاه .. حيث التحذير من (الميتات) والاقتراب من الجارة في غير الحق الذي هو شكل من أشكال الزنا !

وبالاضافة لما تقدم فان الاعشى حسبه فخرا ان يكون ممن آمنوا بالله وبالحساب وصدقوا بالبعث والنشور وهو في الجاهلية الجهلاء .. وفي ذلك روى عنه صاحب (رسالة الغفران) انه قال :

فما أيبلي على هيكل ،
بناه وصلب فيه وصارا
يراوح من صلوات المليك
طوراً سجوداً وطوراً جؤارا
بأعظم منك تقي في الحساب
اذا النسمات نفضن الغبارا(١٤)
. . . . . الخ

الأسلام والشعر ..

بعد هذا العرض السريع لمجمل مردودات الرسالة الاسلامية على القصيدة العربية ، لنا ان نتساءل : ما هو اثر الرسالة الاسلامية في شعر تلك الحقبة ، بالقياس الى ما كان عليه في مراحل ما قبل انبثاق الرسالة ؟

اننا نجد انفسنا بهذا الصدد بين رأيين متضادي الشحنة ، احدهما يقول بان الاسلام اضعف الشعر واصابه بالجمود والركود ! بينما يلتزم الثاني بعكس من ذلك ، حيث يقول بان الاسلام لم يضعف الشعر بقدر ما قوى اركانه باتخاذه وسيلة مرنة لردع المناوئين للرسالة الجديدة وردهم على اعقابهم مع تعرية وابطال كل ما يدعونه ازاء العقيدة الجديدة من مزاعم باطلة من خلال المنافرات التي كانت توشك ان تكون مرجلا يغلي ، بين مؤيدي الرسالة وانصارها من جهة ، وبين معارضيها والمتصدين لها من جهة اخرى . يتمثل الراي الاول فيما انطوت عليه بعض مراجع الادب من اراء الاقدمين ، بينما يشتمل الثاني على ما جاء في مصادره من آراء النقاد المحدثين ..

ولعل من الصواب بمكان ان نعود الى ما خلفه لنا الاقدمون من مؤلفات ، كيما يتسنى لنا الوقوف على مجمل المبررات التي يستند اليها دعاة الراي الاول في تعليلهم اسباب الضعف التي الحقها الاسلام بالشعر (على حد ما يزعمون) :

١ ـ لقد ذهب فريق منهم الى ان السبب غير المباشر لتلك الحالة يكمن في انشغال الناس

بالحروب والغزو ، جهادا في سبيل تثبيت دعائم الدين الجديد ، حيث افضى ذلك الى الهائهم عن الشعر وعن روايته . فقد [جاء الاسلام ، فتشاغلت عنه ـ أي عن الشعر ـ العرب ، وتشاغلوا بالجهاد و غزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته][15] هذا هو رأي ابن سلام في كتابه الموسوم (طبقات الشعراء) .

٢ ـ بينما يطرح ابن خلدون تفسيرا آخرا لحالة الضعف المزعومة ، فيرجعها الى ان ظهور القرآن ، كفن جديد ، وأسلوب لم يرق اليه احد ، أو نظم لم يكن بحكم المتعارف عليه ، كان قد ادهش الناس واستقطب انتباهم فأخرس افواههم عن تداول القصيد وشغل الشعراء عن النظم وعن التأليف . جاء ذلك في (المقدمة) اذ يقول [ثم انصرف العرب عن ذلك ـ اي عن الشعر ـ أول الاسلام ، بما شغلهم من امور الدين والنبوة والوحي ، وما ادهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فاخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك وأونس الرشد في الملة][16] .

٣ ـ ويرجح فريق آخر أسباب الضعف [الى ان القرآن قد هاجم الشعراء وغض من مكانتهم فوصفهم بالغواية في قوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ..)][17] وعلى الرغم من ان هذا الرأي هو أقرب الى الادعاء وتحريف الحقيقة الواقعية منه الى الصدق والتزام المنطق العلمي الصائب ، باعتبار أن القرآن لم يتهم بالغواية شعراء ذلك العصر كافة وانما قد خص منهم الضالين عن سبيل الهداية ، الذين ابوا ان يستنيروا بما اتى به من تعاليم سمحة ومبادىء سامية، وتحاملوا على أنفسهم العصيان وما يجر أقول على الرغم من ذلك كله ، فاننا نجد من ناحية أخرى ان [القرآن قد ترفع ان يكون شعرا ، ودفع ظن المشركين في ذلك ، وربط الباحثون بين موقف القرآن ، وبين اعراض بعض الشعراء عن الاستمرار في قول الشعر، فقالوا ان شاعرا كبيرا مثل لبيد هجر الشعر، ولاذ بالصمت ـ اذا صحت الرواية ـ وشغل القرآن الشعراء . وسكتوا عن قريضهم ليستمعوا الى كلمة الله][18] .

ومن اجل اتمام الغاية المتوخاة ، نقول مرة أخرى ، ان مثل هذا الرأي الوارد على لسان د. يحيى الجبوري ، مهما بلغ من الصحة او عدمها .. فأن ما جاء في مقدمة بن خلدون ليدحض ان يكون القرآن قد حارب الشعراء او وصفهم بالغواية وانما هو يؤكد العكس من ذلك حيث يذكر أن النبي (ص) كان قد سمعه واثاب عليه . جاء ذلك في نص قوله في (المقدمة) [: ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي (ص) واثاب عليه ، فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منه][19] .

أما بخصوص هجر لبيد الشعر ، فان ما يؤكد ذلك ما اورده صاحب (رسالة الغفران) من قول متحدثا على لسان لبيد ، حيث نجد قد استنشد ـ بضم التاء ، وكسر الشين ـ معلقته التي مطلعها :

عفت الديار محلها فمقامها
بمنى تأبد غولها فرجامها

فاذا هو يرد بالنص الحرفي [هيهات ! اني تركت الشعر في الدار الخادعة][20] ثم يضيف : [قد عوضت ما هو خير وأبر] ويعني بقوله « عوضت ما هو خير وأبر .. » انه وجد في القرآن الكريم كنظم ذي أسلوب لم يرق اليه أحد في السابق واللاحق ، بديلا قمينا بأن يغنيه عن الشعر ونظمه، حيث روي بهذا الصدد ، ان عمر بن الخطاب (رض) كان قد كاتب عامله في الكوفة ، المغيرة بن شعبة ، بضرورة استنشاد من هم عنده من الشعراء ، توخيا لتبين جل ما قالوه في الاسلام ، فأرسل هذا الاخير الى لبيد واستنشده امتثالا لامر الخليفة .. فما كان من لبيد الا ان كتب (سورة البقرة) في صحيفة ثم أتى بها الى بن شعبة وهو يقول : [أبدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر ..] .

ومهما كان مبلغ ما تنطوي عليه هذه الروايات من الصحة والصدق ، فليس ثمة من يقوى على نفي قول لبيد الشعر في عصر فجر الاسلام .. لاسيما بعد ما اصابه من التحول الديني وحسن الاسلام ! ذلك التحول الذي اوحى للشاعر بقصيد ـ على الرغم من قلته قياسا لما قاله الشاعر في مرحلة ما قبل اسلامه ـ من شأنه ان يبين بجلاء تأثر لبيد بالقرآن الكريم ويعكس تقواه وما كان عليه من جنوح ديني .. من ذلك قوله حامدا الله على ما أنعم عليه من ابطائه اجله حتى تسنى له ان يرتدي الاسلام ثوبا (سربالا) :

الحمد لله اذ لم يأتني أجلي
حتى كساني من الاسلام سربالا

٤ ـ ومما يذكر بصدد عوامل اضعاف الاسلام الشعر ايضا ، انه كان قد وضع ما فيه الحيلولة بين الشعراء وبين ما كانوا يعتمدون عليه كأداة في النظم والابداع ، حيث [حرم اكثر الاعمال التي يجود فيها الشعر ، وتنشط القرائح كذكر الخمر ، ومغازلة المراة . واثارة الضغائن والاحقاد والثأر][٢١] ، بل وحرم ايضا المديح الكاذب والهجاء بغير الحق .. بدليل ان الحطيئة كان قد هجا الزبرقان بعد ان استضافه هذا الاخير ولم يحسن ضيافته ، فشكاه (الزبرقان) عمر بن الخطاب ، خليفة المسلمين حينذاك ، فحكم عمر حسان بن ثابت ، فثبت على يديه ذلك ، فما كان من الخليفة حينئذ الا ان امر بحبسه ، فأودع السجن ! غير ان الحطيئة كان ببرعته اقوى من ان ينال منه عقاب الخليفة ، اذ استعطفه بأبيات يذكره فيها بأبنائه الصغار الذين تركهم وراءه من غير معيل يحيطهم برعايته .. فأنشده :

ماذا تقول لأطفال بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فما كان من الخليفة بعد سماعه هذا الاسترحام ، الا ان اطلق سراحه بعد ان اخذ عهدا بعدم العودة الى مثل ذلك .

من خلال ما تقدم ذكره ، يتضح لنا ان تغير الحياة الاجتماعية وتبدل مثلها وقيمها ، قد غير ـ في الوقت نفسه ـ الدوافع الكمينة بأن تنشط الشعر ، وتوجه الشعراء في سبيله ، فاذا بـ [الاكرام والتشجيع الذي كان يلقاه الشعراء من الملوك واصحاب الثراء والسلطان ، قد حل محله زجر عمر عن المديح الكاذب ، والقول الذي يثير الحفائظ ، ويمس اعراض الناس][٢٢] . وأرى ان خير ما يتجسد ذلك في شعر حسان بن ثابت على وجه الخصوص [الذي قطع متنه في الاسلام كما يقولون ، لانه ترك باب الشر ودخل في باب الخير ، فلان شعره . قالوا : « قيل لحسان : لان شعرك ـ أو هرم شعرك ـ في الاسلام يا أبا الحسام ، فقال : يا ابن اخي ان الاسلام يحجز عن الكذب ، وان الشعر يزينه الكذب »][٢٣] .

اي ان حسانا هنا قد ذهب المذهب نفسه الذي استقر عليه دعاة المقولة الشهيرة [الشعر اعذبه الكذوب] . وقد فسر الرواية النمري ما كان قد آل اليه بن ثابت . فقال : (يعني ان شأن التجويد في الشعر) ، الافراط في الوصف والتزيين بغير الحق ، وذلك كله كذب][٢٤] .

على اننا نجد هذه الاعتبارات نفسها قد تواردت عن الاصمعي الرواية ؛ فقد روى له المرزباني في (الموشح) قوله : [الا ترى ان حسانا بن ثابت كان علا في الجاهلية والاسلام ، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي رسول الله (ص) .. لان شعره ، وطريق الشعر هي طريق الفحول ، مثل امرىء القيس ، و زهير ،والنابغة ، من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والافتخار ، فان ادخلته في باب الخير لان][٢٥] . وعن الاصمعي ايضا روى بن قتيبة في (الشعر والشعراء) قوله [شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر ، فقطع متنه في الاسلام][٢٦] .

٥ ـ ومن الآراء الاخرى التي تزعم ان الشعر العربي ضعف في هذا العصر (عصر الرسول والراشدين) ، ما اورده ابو منصور الثعالبي في كتابه المسمى [خاص الخاص] .. اذ يقول : [من عجائب امر حسان ، انه كان رضي الله عنه يقول الشعر في الجاهلية فيجيد جدا ، ويغير من نواصي الفحول ، ويدعي ان له شيطانا يقول الشعر على لسانه ، كعادة الشعراء في ذلك .. فلما ادرك الاسلام ، وتبدل الشيطان الملك ، تراجع شعره وكاد يترك قوله ، ليعلم ان الشيطان أصلح للشاعر ، واليق به ، واذهب في طريقه من الملك][٢٧] .

ولعل من الصواب بمكان ان نشير هنا ـ ايضا ما لمغزى هذا الرأي ـ الى ما كان شائعا في العصر الجاهلي من معتقد قوامه ان يكون لكل شاعر هاجس او رقي من الجن .. ينشد شعره على لسانه ، ويحمل عادة اسما منكرا ؛ فأسم هاجس الشاعر امرىء القيس مثلا (لافظ بن لاحظ) وهاجس النابغة الذبياني (هاذر) .. الخ ..

هذا ونجد ان لكل شاعر خبره وحكايته مع هاجسه من الجن مما تناقلته الرواة من

القصص الخيالية التي لا تتعدى ـ في حقيقتها ـ حدود كونها اساطيرا لا يمكن لعقل امرىء ان يعول عليها . وقد انتفت هذه الظاهرة ولم يعد ثمة من يعتقد بها ابان ظهور وانتشار الرسالة الاسلامية .

٦ ـ ولا ينبغي لنا ان ننسى حقيقة اخرى قائمة ، شئنا أم ابينا ، وهي ما اكد عليه د . يحيى الجبوري في كتابه الموسوم : الشعر والاسلام .. حيث اورد ما فحواه ان الرسول (ص) لم يكن ليتخذ شعراء لنفسه وانما نجده بدلا من ذلك قد سدد خطاهم الى حيث الاضطلاع بمسؤولياتهم في نشر لواء الاسلام وترسيخ جذوره . ولعل تفسير ذلك يكمن في ان [الناحية المادية والدنيوية من حياة الرسول (ص) ليس لها هنا كبير اثر ، والناحية الروحية في الاسلام لم تزل اذ ذاك في مستهلها ، ولم تكن قد نفذت بعد الى قلوب المسلمين في شكل قوي ملهم يفجر ينابيع الفن الرفيع][٢٨] .

هذا اهم ما يتعلق بالراي الاول ، حول الاسلام ومزاعم اضعافه الشعر .

الراي الثاني :

اما الراي الثاني القائل بأن الشعر لم يضعف بظهور الرسالة الاسلامية وانما نما بنموها وتطور بتطورها؛ فيتمثل هذا الراي ببعض ماورد في كتب باحثي الادب العربي ودارسيه من المحدثين ، وقد اتخذ هؤلاء مقاييسا ومعايير جديدة في تقييمهم ووزنهم القصيدة العربية ،تختلف في بعض نواحيها عن المعايير والمقاييس الفنية التي كان الشائع فيما مضى من العصور التي سبقت عصر فجر الاسلام ، ان يعتمد عليها في التقييم .

وبمقتضى هذه المقاييس الجديدة ، اصبح ينبغي للشاعر عموما ان يبدع ضمن الحدود التي يقتضيها الدين الجديد وعدم تجاوز ما لا يسمح بتجاوزه ؛ وهكذا فأن شاعرا يلتزم بمبادىء الاسلام وتعاليمه التي يقوم عليها ، ويدعو الى الايمان بالله واليوم الآخر ، ان شاعرا كهذا ينال الخطوة عند الآخرين ويكون له نصيب يحسد عليه من رضوان الله ورسوله عنه !

وعلى هذا الاساس نرى ان النقاد المحدثين ، حتى اولئك الذين اخذوا بالراي الاول ، سرعان ما يستطردون ليعودوا اخيرا الى التسليم بحقيقة ما أصاب الشعر من تطور ورقي ، فلدينا على سبيل المثال د . يحيى الجبوري الذي نجده ـ بعد استرسال طويل في الكلام عن اضعاف الاسلام للشعر ـ سرعان ما يستدرك ليتراجع عن رأيه فاذا هو يؤكد ان الشعر قد تطور وكثرت فنونه وتوسعت اغراضه ، واصبح من الاهمية بحيث صار يشارك في شؤون الحياة الاسلامية ! يقول الدكتور الجبوري بهذا المعنى : [ولكن ليس معنى هذا أن هذه الفترة، كانت من الضعف والهزال كما يصفها الواصفون؛ فتكون عند زعمهم فجوة منقطعة ، ملأها الصمت والخمول ، بل ان الشعر كان فيها زاهيا ، قويا ، كثير الفنون ، واسع الاغراض ، دفعه الاسلام في دعوته ، ووجهه ، أغراضه ، وأدخله في أتون المعركة الاسلامية ، بين مكة والمدينة . وشارك في شؤون الحياة الاسلامية كافة ، فصورها ووصفها ومثلها على قدر ما اتيح له ، وبالشكل الذي يطيقه][٢٩]

وفيما لو خيرنا ـ بصيغة المبني للمجهول ـ بين مجمل ما انطوى عليه الرأيان ـ الاول والثاني ـ فأرى ان الاخير منها أقربهما الى الصواب والواقعية واكثرهما تمثلا بالمنطق العلمي الصائب ... وذلك لان ما رآه دعاة الرأي الاول من حالة ضعف مزعومة ، انما كان في حقيقة أمره مظهرا من مظاهر تطور القصيدة العربية التي نجدها في هذه الحقبة قد خرجت من طور الرتابة والتكرار لتلج طورا جديدا تمخض عما أصاب القصيدة العربية على يد المنضوين تحت راية الرسالة الاسلامية من تغيير وتجديد في الناحيتين الفنية والموضوعية ، مما عمد اليه شعراء ذلك العصر (عصر الرسول والراشدين)، توخيا منهم لتطوير اداتهم الفعالة هذه كيما تكون اكثر مرونة للسمو عند مستوى الغايات الجديدة المجندة لأجلها ؛ تتمثل التطورات الفنية فيما طرأ على شكل القصيدة وما أصاب بناءها الخارجي (هيكلها) من تحوير تمخضت عنه مناهج شعرية جديدة ثبتت ـ أو كادت أن تثبت ـ بحكم التقليد المتبع الى أمد غير قصير ... ناهيك بفن البديعيات الذي ظهر أول ما ظهر عند الشاعر كعب بن زهير ونما وتطور على يديه ! وقوام هذا الفن الصياغي الجديد (ان جاز لنا التعبير) أن يبدأ الشاعر بأبيات غزل عفيف ومن ثم يتحول الى الغرض الشعري الذي هو في صدده ... كما هي الحال مع قصيدة (بانت سعاد) التي قالها الشاعر كعب بن زهير معتذرا الى النبي (ص) عما بدا منه ـ الشاعر ـ من اعراض عن سبيل الهداية وضلال

في متاهات الجاهلية النكراء ، ملتمسا من النبي (ص) العفو والصفح ؛ ومما يروى بصددها أن الشاعر لما ان فرغ من قراءتها عند حضرة النبي الكريم ، ما كان من النبي (ص) الا ان خلع بردته عليه ... ومن هنا نشأت تسميتها بـ (نهج البردة) ! ولعل من الصواب بمكان أن نستشهد بما ورد في مطلعها تثبتا من صحة ومصداق ما أوردناه آنفا :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا
الا أغن غضيض الطرف مكحول

ثم هو بعد هذه المقدمة الغزلية ، سرعان ما يتحول الى استرحام واستعطاف النبي (ص) مادحا أياه ، مبينا منزلته الرفيعة عند الله والمسلمين ... اذ يقول :

نبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ
قرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
اذنب ولو كثرت عني الأقاويل
ان الرسول لسيف يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

هذا فيما يخص التطورات التي اصابت الناحية الفنية [الشكل] في القصيدة الشعرية على يد الشعراء المنضوين تحت راية الرسالة المحمدية . اما فيما يتعلق بالتطورات التي أصابت الناحية الموضوعية فيها ، من حيث المضامين والموضوعات المستجدة فيها ، فيمكن القول بأن أغراض الشعر عموما ، قد تبدلت معانيها وصيغ وغايات استعمالاتها ؛ وذلك بتبدل نظم الحياة وتغير قيمها، خذ على سبيل المثال أن المدح والهجاء بعد أن كانا تكسبيين ، اصبحا بظهور الرسالة الاسلامية ضرورة تستلزمها ظروف الحياة الجديدة وملابساتها ، حتى أن الشعر استحال معها اجتماعيا وسياسيا محضا، بينما كانت ميزته هذه تكاد تنتفي تحت مظاهر الابتذال والمبالغة والاسراف في الكذب خلال العصر الجاهلي ، ولعل الاهم من ذلك كله ، أن الالفاظ القرآنية والمفاهيم الاسلامية اخذت تغذي قصيد اغلب شعراء هذا الاتجاه ، بسبب تأثرهم المباشر بأسلوب القرآن وبالقيم التي ينطوي عليها !

ويبرز ذلك التأثر المباشر في قصيد كثير من شعراء تلك الحقبة ، لعل اهمهم بهذا الخصوص : حسان بن ثابت ولبيد .. وعلى الرغم من قلة عطاء الثاني في هذه المرحلة ـ فجر الاسلام ـ فان مجمل ما بلغنا مما قاله ليجسد ذلك على اكمل وجه ... لاسيما في قوله :

ان تقوى ربنا خير نفل
وبأذن الله ريثي والعجل
أحمد الله ولا ند له
بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ومن شاء اضل

فانك ترى من خلال تأملك هذه الابيات ، ان انفتاح لبيد على آفاق الرسالة الاسلامية واستيعابه الفكري لمجمل ما انطوى عليه دستوره الجديد قد بلغ درجة صار الشاعر معها يجنح ـ سواءا قصد ذلك وتعمده ، ام لم يقصده ـ الى نسخ آيات قرآنية واستيحاء مضامينه الشعرية منها ! ناهيك بالابيات المذكورة اعلاه ... فهو اذ يشير ـ في مطلع البيت الاول ـ الى ان تقوى الله خير هبة وغنيمة يصيبها المرء ، انما كان قد استمد ذلك من قوله تعالى [ورحمة ربك خير مما يجمعون][٣٠] ، وهو اذ يحمد الله ـ في اول البيت الثاني ـ ناكرا ان يكون له ثمة نظير (ند) ، فكأني به قد استوحى هذه الصورة الشعرية من آية قرآنية واردة في الذكر الحكيم فحواها ان [لا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون] . اما بخصوص ما ورد في الشطر الثاني منه ، حيث التنويه الى ما في حوزته تعالى من خير وملك ، فلعله استوحى ذلك من قوله تعالى [بيده الملك وهو على كل شيء قدير][٣١] .

ثم هو اذ يعمد ـ في البيت الاخير ـ الى تبيان قدرة الله المطلقة على هداية فريق هو أهل لذلك ، وضلال آخر استحق الضلالة ، اراه قد استمد ذلك من قوله تعالى [فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة][٣٢] .

وكنتيجة لمواكبة الشعر احداث الاسلام ، بما تخللها من فتوحات البلاد الاخرى وحروب بين الفريقين [المسلمين من جهة ، واهل الشرك من جهة اخرى] فقد كثر فيه الرثاء للشهداء .. خذ مثلا على ذلك ان حسان بن ثابت قال يرثي حمزة ، عم النبي (ص) الذي كان قد اصيب في احد :

دع عنك دارا قد عفا رسمها
وابك على حمزة ذي النائل

المالىء الشيزي اذا اعصفت
غبراء في ذي الشبم الماحل
ابيض في الذروة من هاشم
لم يمر دون الحق بالباطل
حال شهيداً بين اسيافكم ،
شك يدا ومشيٍ من قاتل !

الى ان يقول :

اظلمت الارض لفقدانه
واسود نور القمر الناصل
صلى عليه الله في جنة
عالية مكرمة الداخل(٣٣)

وهذه الشاعرة اميمة بنت عبدشمس الهاشمي، لما قتل ابو سفيان بن امية بن عبدشمس اخوها ، في في حرب الفجار ، قالت ترثيه وترثي من قتل في حروب الفجار من قريش :

الا يا عين فابكيهم
بدمع منك مستغرب
فان ابك فهم عزي
وهم ركني وهم منكب
وهم اصلي وهم فرعي
وهم نسبي اذا انتسب
وهم مجدي وهم شرفي
وهم حصني اذا ارهب
وهم رمحي وهم ترسي
وهم سيفي اذا أغضب
فكم من قائل منهم
اذا ما قال لم يكذب
وكم من ناطق فيهم
خطيب مصقع معرب
وكم من فارس فيهم
كمي معرب محرب
وكم من مِدره فيهم
أريب حزمه يغلب
وكم من جحفل فيهم
عظيم النار والموكب
وكم من خضرم فيهم
نجيب ماجد منجب(٣٤)

ولدينا ام كلثوم بنت عبدود بن قيس من بني عامر ، التي قتل اخوها يوم الخندق حيث كان زعيم اهل الشرك في قريش ، حتى اذا خرج على راس جيش منهم للاقاة المسلمين جعل يجول وينادي عن مبارز يلاقيه ، فما كان من على بن ابي طالب (كرم الله وجهه) الا ان خرج اليه داعيا اياه الى الاسلام .. غير ان عمرا كان قد تحامل على نفسه لاعراض عما دعاه اليه علي ، فلم يجد هذا الاخير بدا من دعوته الى النزال ووعيده بالقتل .. فثارت ثائرة عمر اخيها [اقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي سنة (٥هـ) . فنعي عمرو الى اخته ام كلثوم فسألت : من قتله ؟ فقيل لها : علي . فقالت : لم يأت يومه الا على يد كفوء كريم و](٣٥) لم ترثه باكية ، بل راحت تفاخر بمقتله على يد هذا الكفوء الكريم :

اسدان في ضيق المكر تجاولا
وكلاهما كفو كريم باسل
فتخالسا سلب النفوس كلاهما
وسط المجال مجالد ومقاتل
وكلاهما حسر القناع حفيظة
لم يثنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله
قول سديد ليس فيه تحامل

ومن شواعر الرثاء ايضا عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل التي تزوجها عبدالله بن أبي بكر الصديق ثم أصابه سهم في غزوة الطائف ، فمات منه فانشأت تقول في رثائه :

فلله عينا من رأى مثله فتى
اكر واحمى في الهياج واصبرا
اذا شرعت فيه الأسنة خاضها
الى الموت حتى يترك الموت أحمرا
فآليت لا تنفك عيني حزينة
عليك ولا ينفك جلدي أغبرا(٣٦)

ولما ان قتل عمر بن الخطاب ، خليفة المسلمين ، على يد أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قالت عاتكة بنت زيد ترثيه :

عين جودي بعبرة ونحيب
لا تملي على الأمام النجيب
فجعتنا المنون بالفارس المعـ
ـلم يوم الهياج والتلبيب

عصمـــة اللـــه والمعين على الد
هـــر غيـــاث المنتـــاب والمخـــروب
قل لأهل الضـــراء والبؤس موتوا
قد سقتـــه المنون كأس شعوب[٢٧]

وهذه خولة بنت الأزور الكندي ترثي أخاها ضرارا الذي كان قد خرج بمعيتها الى الشـــام لما فتحها المسلمون في أيام أبي بكر ، فأســـر في بعض الوقعات قرب انطاكية :

ألا مخبر بعـــد الفـــراق يخبـــرنا
فماذا الذي يا قوم اشغلهم عنـــا
ولو كنت ادري انـــه آخر النوى
لكنـــا وقفنـــا للوداع وودعنـــا
ألا يا غراب البين هل انت مخبري
وهـــل بقـــدوم الغائبين تبشـــرنا
لقـــد كانت الأيام تزهـــو بقربهـــم
وكنا بهم نزهو وكانوا كمـــا كنـــا
ألا قاتل اللـــه النـــوى ما أمره
وأقتله ماذا يريد النـــوى منـــا
ذكرت ليالينـــا ونحـــن جمـــاعة
ففرقنـــا ريب الزمـــان وشتتنـــا !
لئن رجعـــوا يـــوما الى دار عزهم
لثمنـــا خفـــافا للمطي وقبلنـــا
ولم أنس إذ قالوا ضـــرار مصـــرع
تركناه في أرض العـــدو وودعنـــا
فمـــا هـــذه الأيام إلا معـــارة
وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى[٢٨]

ويروى أن خولة بنت الأزور كانت قد حضرت فتوح مصر فهجم القبط على المسلمين وأسروا قوما منهم ، وكانت الشاعرة من بين من نالت منهم حبائل الأسر ، فانشأت ترثي نفسها وتذكر أخاها ضرارا :

حلّ المصاب فعم الويل والحـــرب
وكل دمـــع من الأجفـــان ينسكب !
وكادني الدهر مما قد رميت بـــه
حتى توهمـــت ان الأرض تنقلـــب
خارت يد القبط فينـــا عند غفلتنا
واستحكم الروم لما زلت العـــرب
لهفي على بطل قـــد كان عمدتنـــا
فيه العفاف وفيـــه الدين والأدب
لو كان ناصـــرنا في وقت شدتنـــا
اعني ضرار الذي للحـــرب ينتـــدب
فيه الحمية والأحســـان سيمتـــه
فيه التعصب والانصاف والحسب[٢٩]

وسوى الرثاء ، فأن توسع مدارك الفـــرد وتطوير بنيتـــه العقلية بفضل ما جاء بـــه الدين الاسلامي الوليد ، من رفيع المبادىء ، قد افضى بدوره الى ظهور القصد الى المواعظ وضرب الأمثال وايراد الحكم وغير ذلك من المظاهر التي ســـرعان ما انعكست في قصيد شعراء تلك الحقبة .

وخير ما تتجسد هذه لناحية بكامل صورها ، في قصيد عدد من شعراء تلك الفترة ، لعل من اهمهم الشاعر خويلـد بن خالد الهذلي ـ المعـــروف بأبي ذؤيب ـ ، والحطيئة ، ومعن بن اوس .

واذا كانت عينية أبي ذؤيب مثلا ، التي مطلعها:

أمـــن المنـــون وريبهـــا تتوجـــع
والدهـــر ليس بمعتب مـــن يجـــزع

قد أحدثت ـ ولاتزال محدثة ـ اصداءا لدى دارسي الادب العربي وباحثيه ، اذ اعتبرها بعضـــهم مـــن روائع الشعر العربي ، بينما عدها فريق آخر بأنها في الذروة العليا من الشعر .. فأنما تستمد اهميتها مما تنطوي عليه من مواعظ وتأسية وحكـــم ! خذ مثلا قوله في بعض ابياتها :

ولقـــد أرى ان البكـــاء سفاهـــة
ولســـوف يولـــع بالبكا من يفجـــع

او قوله في بيت آخر منها :

واذا المنيـــة انشـــبت اظفارهـــا
الفيـــت كـــل تميمـــة لا تنفـــع

ومنها أيضا قوله :

والنفـــس راغبـــة اذا رغبتهـــا
واذا تـــرد الـــى قليـــل تقنـــع

اما بخصوص الحطيئة ، فاننا نراه قد تنزه عن الهجاء ـ بعد ما حدث له مع الزبرقان بن بدر ، وما تمخض عن ذلك من متاعب ـ واستبدله بجزاء الله والثناء عليه واستحسانه للعمل الصالح وايمانه بنعيم الآخرة ومتاعها الخالد الذي لا يفنى والذي وجد السبيل المؤدي اليـــه في التقـــوى ، ولا شيء سواها :

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا
وعند الله للأتقى مزيد

هذا وكان الشائع في العصر الجاهلي تشاؤم المرء حين تلد له بنت ، فما ان بزغ فجر الاسلام حتى وضع للمرأة قيما سمت بها الى درجة أن شاعرا عربيا هو معن بن أوس استمد من تسفيه الاسلام حالة التشاؤم تلك ، أبياتا شعرية نوه فيها الى امكانية الافادة من صلاحهن كنوادب ونوائح لفتى تعثر به الايام ... وهذا ـ في ظني ـ اقل تقدير استطاعه الشاعر :

رأيت اناساً يكرهون بناتهم
وفيهن لا نكذب نساء صوالح
وفيهن والأيام تعثر بالفتى
نوادب لا يمللنه ونوائح

استنتاج اخير ...

فأذن ، بغض النظر عما قيل ويقال عن مدى التطور الذي أصاب الشعر خلال هذا العصر ، فما تجدر الأشارة اليه ان الشعر قد بلغ من الأهمية بحيث لم يكن بوسع النبي (ص) ولا اتباعه الأستغناء عنه ... حسبه فخرا في ذلك انه كان يسهم الى جانب السيف في ردع القوى المضادة وتفنيد ونقض ادعاءاتهم وتعرية كل ما يتوخون أن يبينوا فيه مثالب الرسالة الجديدة ... ولعل من الصواب بمكان أن نشير الى بعض ما كان يدور على مسرح العصر من منافرات بين شعراء الأتجاهين .. اعني بين مؤيدي الرسالة الاسلامية وانصارها من جهة ، وبين معارضيها ومن لف لفهم من جهة اخرى . هذه المنافرات التي من شأنها ان تجسد على اكمل وجه [المفاخرة التي جرت في المسجد بين شعراء وفد تميم وخطبائهم وبين الأدباء المسلمين بعد فتح مكة حين وفد منهم على الرسول (ص) سبعون رجلا أو ثمانون فيهم الأقرع بن حابس وعطارد بن حاجب وقيس بن عاصم وعمرو بن الاهتم والزبرقان بن بدر ، فقدموا المدينة ودخلوا المسجد ، فوقفوا عند الحجرات ، فنادوا بصوت عال جاف : اخرج الينا يا محمد فقد جئنا لنفاخرك .. جئنا بشاعرنا وخطيبنا . فأذن لهم الرسول (ص) بالقول والانشاد، فقالوا ما قالوا ، ورد عليهم خطيب المسلمين ثابت بن قيس ، وشاعرهم حسان بن ثابت . وكانت الغلبة للمؤمنين .. حتى ان الاقرع بن حابس اضطر الى الاعتراف بأن خطيب المسلمين أخطب من خطيبهم ، وشاعرهم أشعر من شاعرهم ، وان أصوات المسلمين أعلى من أصواتهم وانهم أحلم منهم][٤٠] .

واذا ما تذكرنا بالمثل القائل بأن (عين العدو اصدق) فأن اعتراف الاقرع هذا لهو انصع دليل على توهج جذوة الشعر في هذه الحقبة ـ عصر الرسول والراشدين ـ وعلى انتعاشه ، بل ومن شأنه أن يدحض شتى المزاعم التي نطق بها بعض باحثي الادب العربي ودارسيه ممن حمل في شبه جعجعة آراءا فحواها الاسلام قد اصاب الشعر بالهزال والجمود والانتقاص من قيمة منشديه ... ولعل دحض مثل هذه المزاعم الباطلة يتأكد بشكل اكثر عمقا بعد تأمل ورصد قصيد المنافرات التي كانت تصاعد مدتها بين شعراء الدعوة الاسلامية وبين شعراء الطرف الضد ... تلك المنافرات التي من خلالها ايضا بوسع حتى القارىء العادي ، أن يتبين كم هي شاقة المهمة التي اضطلع بها الشعر العربي في الذود عن حياض جنين الحضارة العربية الجديد ... الذي كان قد ولد لتوه .. وكيف انه أسهم ـ عن طريق غير مباشر ـ في اعانته على النمو والصيرورة والديمومة المطلقة !

*** نماذج من شعر المنافرات . .**

يروى أن أول مناوشة في سبيل الدين الاسلامي ، بدأها حسان بن ثابت عند رده على ضرار بن الخطاب بن مرداس ـ شاعر قريش وفارسها ـ ، وذلك عندما استهدفت قريش النَيْل من أصحاب العقبة الثانية ، الذين بايعوا الرسول (ص) وولي عليهم اثني عشر نقيبا ، حتى اذا تسنى لها أن تدرك النقيبين : سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ، فر الاخير وافلت من قبضتها ، بينما حالفها الحظ بالظفر بالاول ، فأخذته مغلول اليدين الى مكة ؛ على ان جبير بن مطعم والحرث بن أمية ـ وكلاهما من الصحابة المسلمين ـ سرعان ما تمكنا من انقاذه من حبائل الاسر .. فاذا بضرار بن الخطاب يقول في ذلك :

تداركت سعداً عنوة فأخذته
وكان شفاءاً لو تداركت منذرا
ولو نلته طلت هناك جراحه
وكان حرياً أن يهان ويهدرا

فما كان من حسان ازاء ذلك الا ان رد عليه بقوله :

لست الى سعد ولا المرء منذر
اذا ما مطايا القوم اصبحن ضمرا
فلا تك كالوسنان يحلم انه
بقرية كسرى او بقرية قيصرا
ولا تك كالثكلى وكانت بمعزل
عن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا
ولا تك كالشاة التي كان حتفها
بحفز ذراعيها فلم ترض محفرا
فانا ومن يهدي القصائد نحونا
كمستبضعٍ تمراً الى ارضِ خيبرا

وقال عبدالله بن الزبعري يفاخر بجلاد قومه في يوم احد :

ان للخير وللشر مدى
وكلا ذلك وجه وقبل
ابلغا حسان عني آية ،
فقريض الشعر يشفي ذا العلل
كم قتلنا من كريم سيد ،
ماجد الجدين مقدام بطل

فنقض حسان بن ثابت قوله بقصيدة يذكر فيها فضل الايمان على المسلمين :

ولقد نلتم ونلنا منكم
وكذاك الحرب احياناً دول
نضع الأسياف في اكتافكم
حيث نهوي علا بعد نهل
اذ شددنا شدة صادقة
فأجأنا الى سفح الجبل
وعلونا يوم بدر بالتقى
طاعة الله وتصديق الرسل
وتركنا في قريش غورة
يوم بدر واحاديث المثل !

ومن شعر ذلك العهد قصيدة ، قيل انها لعلي بن ابي طالب ، تشيد بالدين الجديد ، وتنذر الكافرين .... وفيما يلي بعض ابياتها :

عرضت ومن يعتدل يعرف ،
وايقنت حقاً ولم اصدف
عن الكلم المحكم اللائي من
لدى الله ذي الرافة الأراف
رسائل تدرس في المؤمنين
بهن اصطفى احمد المصطفي
فيا ايها الموعدوه سفاها
ولم يأت جوراً ولم يعنف
الستم تخافون ادنى العذاب
وما آمن الله كالأخوف(٤١)

من خلال ما تقدم ذكره ، يتضح لنا ان هذا الشعر مهما قيل في قيمته ومدى التطور الذي اصابه في الناحيتين الفنية والموضوعية ، فمما لا يقبل الجدل انه كان اقوى متانة وادق اسلوبا وتعبيرا ، واسمى في اغراضه التي طرقها من الشعر الجاهلي الذي سبقه ! اضف الى ذلك انه كان قد سما على شعر المرحلة التليدة بما انطوى عليه من مثل وقيم انسانية واخلاقية عامة لم يكن ثمة ما يناظرها في شعر المرحلة الجاهلية الا ما ندر ! مما يبيح لنا ان نعده بكل حزم وايمان ، حلقة هامة في سلسلة تطور الشعر العربي بصورة عامة .

— * —

مراجع البحث ومصادره

١ ـ د. يحيى الجبوري ـ شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه .
٢ ـ محمد مفيد الشوباشي ـ الادب ومذاهبه ـ ص ٣٧ .
٣ ـ نديم مرعشلي ـ شرح ديوان ابن زيدون ـ ص ١٣٦ ـ تضمن دراسة تفصيلية عن الشاعر بما في ذلك : حياته ـ غرامه ـ فنونه .
٤ ـ يحيى الجبوري ـ المصدر الاول ـ ص ١٩١ ـ ١٩٢ .
٥ ـ يحيى الجبوري ـ المصدر الاول ـ ص ١٩٧ .
٦ ـ يحيى الجبوري ـ المصدر الاول ـ ص ١٨٨ .
٧ ـ ابو العلاء المعري ـ رسالة الغفران ـ ص ٢١١ .
٨ ـ ابو العلاء المعري ـ المرجع السابع ـ ص ٢٢١ .
٩ ـ يحيى الجبوري ـ المصدر الاول ـ ص ٧٠ .
١٠ـ د. عناد غزوان ، د. نوري حمودي القيسي ، د. فائق امين مخلص ـ الادب العربي ـ ص ١٢٣ ـ مطبعة وزارة التربية .
١١ـ محمد مفيد الشوباشي ـ المصدر الثاني ـ ص ٣٨ .
١٢ـ احمد بن الامين الشنقيطي ـ شرح المعلقات العشر واخبار شعرائها ـ ص ٥٩ ـ بيروت .
١٣ـ ابو العلاء المعري ـ رسالة الغفران ـ ص ٩٥ .
١٤ـ ابو العلاء المعري ـ رسالة الغفران ـ ص ٧٧ .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١٥- ابن سلام ـ طبقات الشعراء ـ ص ٢٢ . طبعة بيروت .

١٦- ابن خلدون ـ مقدمة بن خلدون ـ ص ٥١٨ .

١٧- يحيى الجبـــوري ـ الاسلام والشعر ـ ص ٣١ . ط : بغداد .

١٨- يحيى الجبوري ـ المصدر نفسه ـ ص ٣١ .

١٩- ابن خلدون ـ المرجع السادس عشر ، ص ٥١٨ : والتزاما منا بما تقتضيه الامانة الادبية ، نشير الى ان الفقـــرة المقتبسة هنـــا ، قـــد وردت نفسها في كتاب د. يحيى الجبوري الموسوم (الاسلام والشعر) ص ٣١ .

٢٠- ابو العلاء المعري ـ رسالة الغفران ـ ص ٩٥ .

٢١ ، ٢٢ يحيى الجبوري ـ الاسلام والشعر ـ ص ٣١ .

٢٣- يحيى الجبوري ـ المصـــدر نفسه ـ نقلا عن الاستيعاب للمبرد ـ ج ١ ـ ص ٣٤٦ .

٢٤- يحيى الجبوري ـ المصدر نفسه ـ ص ٣٢ .

٢٥- يحيى الجبوري ـ المصدر نفســـه ـ نقلا عن الموشـــح للمرزباني ـ ص ٦٤ ـ ٦٥ .

٢٦- يحيى الجبوري ـ المصدر نفسه ـ نقلا عن كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . ص ١٧٠ .

٢٧- ابو منصور الثعالبي ـ خاص الخاص ـ ص ٨٠ ط. مصر ١٣٢٦هـ .

٢٨ ، ٢٩ يحيى الجبوري ـ الاسلام والشعر ـ ص ٣٣ ـ بغداد.

٣٠- سورة الزخرف : آية (٣٢) .

٣١- سورة تبارك : آية (١) .

٣٢- سورة الاعراف : آية (٣٠) .

٣٣- يحيى الجبوري ـ شعر المخضرمين واثر الاسلام فيـــه ـ ص ٦٩ وما بعدها .

٣٤- دار التراث ـ بيروت ـ شرح ديوان الخنساء بالاضافة الى مراثي ستين شاعرة من شواعر العرب . ص ١٢٩ .

٣٥ ، ٣٦ المصدر نفسه ـ ص ١٦٣ .

٣٧- المصدر نفسه ـ ص ١٦٣ .

٣٨ ، ٣٩ المصدر نفسه ـ ص ١٤٧ .

٤٠- عبدالحميد العلوجي ـ المواسم الادبية عند العـــرب ـ ص ٢٣ ـ ٢٤ ـ مطابع شركة دار الجمهوريـة للطباعـــة والنشر ـ بغداد ـ ١٩٦٥ .

٤١- ان بعض النصوص المستشهد بها في باب (نماذج من شعر المنافرات) قد تم اختيارها من كتاب (شعر المخضـــرمين واثر الاسلام فيه) للجبوري ، بينما اخذت الاخرى من كتاب (الادب ومذاهبه) لمحمد مفيد الشوباشي . وعليه فقد اقتضت الاشارة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی